

# جبابرة هزموا اليأس...



هازم اليأس، البصيرة المتوهجة، الثائر الشجاع، فارس النقد عميد الأدب، قاهر الظلام، ربان الكلمة : (طه حسين).

هذا العملاق الكفيف والفتى الأعمى الذى شق طريق حياته بإرادة من حديد... لم يرضخ لقسوة الأيام ولا لغلاف الظلام الذى إتق حوله، فأستغل بصيرته عوضاً عن بصره، وحولها إلى شعاع متوهج كسر به حاجز الظلام وسطح بنورها ليضى الطريق أمام الكثير من بنى وطنه.. ولد طه حسين فى عزبة (الكيلو) مركز مغاغة محافظة المنيا، وكان والده يعمل بشركة السكر، وكان من عائلة فقيرة، فى بيئة جاهلة متخلفة تمزقها الأمراض والأوبئة. وكان الإستعمار والإقطاع مع حكومة خديوية جائزة قد أدوا إلى تدهور البلاد وتخلفها.

وفى السادسة من عمر طه أصيب بالرمم الصديدي وبسببه فقد بصره لرعونة حلاق القرية الذى كان يعالجه، حزن طه على نفسه وبكت الأسرة أسي وحسره، وعلى الرغم من ذلك سعى الفتى الضرير إلى بصيص من النور ليبيد به يأس حياته وأحزان نفسه. لم يعد لديه من أحاسيس الإتصال بمن حوله سوى أذنان صغيرتان، ويدان صغيرتان يتلمس بهما خطوط مساره، وأرهب أذناه إلى كل صوت يصل إليه فعشق صوت العصافير وغرم بالشعر والمواويل، فسعى إلى الموالد وحلقات الذكر والشمر كى يسمع قصص أبو زيد الهلالي والزناتى خليفه، تعلم طه القرآن فى كتاب القرية وحفظه وأستساغ عدوبة النثر ونظم الشعر والأدب، حتى لقبوه بالشيخ طه، وهنا بدأت أحلامه تقفز إلى الأمام فى طموح وأمل وذهب شيخنا الصغير ليكمل تعليمه بالأزهر الذى قاسى والشقاء والألم، كذلك فقد كان عقله الحر يكره قيود التخلف والتزمت الدينى لكنه لم ييأس، قاوم وجاهد حتى أصبح تأثراً على ما يراه فى وطنه من ظلم الحياه وشظف العيش المرير.... بالإضافة إلى الجهل والتخلف، والتقاليد البالية، والإستعمار البغيض. لم تعجبه حياة الأزهر فحاول إصلاح شئونه... ولكن لا مجيب!

يولد الإنسان فى الحياة وله فيها نعم عديدة وهبها الله له، ولكن قد يشاء الله بقصد من عنده أن يأخذ من نعمه نعمة، فيفقد الإنسان يداً من يده أو ساقاً من سيقانه أو عيناً من عينيه، أو قد يفقد الإثنين معاً.. فهل تنطفى حياة هذا الإنسان؟.. أو هل يترك نفسه غارقاً فى بحور اليأس والضياع؟ أم يرضخ ويقبع ويرضى؟... أو قد تكون غاية الله وقصده لخيره ولبنى وطنه وللبشرية جمعاء؟

- فيماذا تشعر لو فقدت أحد أعضائك ؟
- وما هى النعم البديلة التى قد تعوضك عن إعاقتك ؟
- ما هى أحاسيس المؤمن عندما يتعرض للإعاقة ؟
- ماذا يولده اليأس وما هى سبل الرجاء ؟
- أذكر شخصيات تغلبت على العجز واليأس وفازت فى مباريات عالمية

وفى عام ١٩٠٨ أفتتحت الجامعة الأهلية، فأسرع طه إلى مدرجاتها يسمع ويعى فوجد فيها الحرية وأستقلال الرأى. فبدأ ينظم وقته بين الأزهر والجامعة ودار الكتب.

صاحب أساتذة كبار كانوا من المعجبين به وبشجاعته وحسن بيانه، فساعدوه فى البحث و التتقيب حتى صار كاتباً لا معاً وناقداً ثائراً. عشق العلم والأدب وأستولت على نفسه طموحات كثيرة فأخذ يحلم بالسفر إلى الخارج ليذداد علماً وثقافة، ولكى يرى الدنيا بحواسه بعد أن فقد رؤياها بعينيه.... تعلم الفرنسية ليستطلع أدب الغرب وفكره، وذات يوم أعلنت الجامعة عن إيفاد بعثتين للدراسة فى فرنسا، فكتب طه إلى رئيس الجامعة كى يلحقه بإحدهما لدراسة التاريخ، وعلى الرغم من الصعوبات التى واجهه طه فإنه لم يياس حتى فاز بالبعثة.

لم تكن الحياة فى فرنسا سهلة وميسورة وكذلك لعدم تمكن طه من اللغة الفرنسية وقواعدها عانى الكثير والكثير... فلجأ الى سبيل إتقانها على طريقة (برايل). وشاء القدر أن يتلاقى بفتاه أحبها وأحبته، فحولت شقائه الى سعادة وظلمته الى نور، وساعدته فيما كان يسعى اليه، فقرأت وكتبت له، حتى أتقن اللغة الفرنسية تماماً وتعلم أيضاً اللغة اللاتينية.

حصل طه على الليسانس فى الآداب من جامعة السربون، وفى عام ١٩١٨ نوقشت رسالته عن (إبن خلدون) وحصل على الدكتوراه عنها، وفى عام ١٩١٩ عاد الدكتور طه حسين إلى مصر مع زوجته (سوزان) التى أحبها التى كانت له نعم العون ونعم الرفيق.

عين طه حسين أستاذاً فى التاريخ بجامعة القاهرة، وفى عام ١٩٥٢ عين وزيراً للمعارف ، وملأت آرائه وكتبه وقصصه العالم العربى كله فكتب فى التاريخ والفلسفة والنقد والشعر والقصة حتى أستحق عن جداره لقب (عميد الأدب العربى).

أهدته عدة جامعات عالمية الدكتوراه الفخرية، كما أهدته الدولة قلادة النيل، وأهدته فرنسا وسام (الجيون دونير) وفى يوم ٢٨ / ١٠ / ١٩٧٣ وفى خضم فرحة مصر بالعبور والنصر مات طه حسين بعد حياة حافلة بالنضال والعمل، مات ذلك الرجل الذى لم يعرف اليأس إلى

قلبه سبيلاً، مات ذلك الرجل الأعمى الذى قاد لفيف من المبصرين الى طريق العلم والنور!

لم تكن قصة طه حسين قصة رجل كفيف استطاع فقط تعليم نفسه والإنتصار على الإعاقة والظلام، ولكن طه كان يحارب ظلام الجهل الذى أطبق على عقول الناس، ومن خلال معاناته الشخصية أمام الإعاقة استطاع أن ينير الآخرين. كان طه حسين مسلماً ولكنه كان يؤمن بأن العلم يجب أن يكون للجميع مجاناً كالماء والهواء وأن الدين لا يجب أن يقف عائقاً فى طريق الإستنارة والإنتفاع بما وصل إليه الغرب. انها قصة صراع بين التخلف والتقدم، الحضارة والرجعية. الاستنارة والجهل والظلام، انتصر فيها هذا الإنسان ورفع مجتمعه إلى أعلى الدرجات:

إقرأ يو ٩ وما قاله الرب يسوع ضد التخلف الذى يفرضه قادة الدين اليهودى، "فقال يسوع" لدينونة أتيت أنا الى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون"، فسمع هذا الذين كانوا معه من الفريسيين وقالوا له "ألعلنا نحن أيضاً عميان" قال لهم يسوع" لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطية ولكن الآن نقولون إننا نبصر فخطيتكم باقية".

(١٨٠٩ - ١٨٥٢)

## مهيس بريل يضى الطريق

ولد لويس بريل سنة ١٨٠٩ فى قرية كفراى التى تبعد عن باريس عاصمة فرنسا بأربعين ميلاً ... وكان الطفل يتمتع بعينين جميلتين حتى أن نساء القرية كن يتهامن كلما مر أمامهن قانات ... يا الله ... ما أجمل عينيه السوداوين الواسعتين .

أما والد الطفل فكان يعمل "سروجياً" فى صناعة كسوة الخيل، وكأى طفل كان أبوه يصطحبه ليجلس معه. وكان الطفل لويس على درجة كبيرة من الذكاء، فكان يتتبع والده أثناء عمله ليعرف ماذا يعمل . وفى إحدى المرات بينما كان والده مشغولاً بعمله حاول أن يقلده فأمسك بابرة "مخراز" طويلة ، ومطرقة خشبية، وقطعة من الجلد، وأخذ يهوى بالمطرقة على الإبرة الموضوعة فوق قطعة الجلد اللامع، ليصنع منها شيئاً، كما يفعل والده ، وإذا بالمخراز يفلت من يديه ويجرح عينيه جرحاً أليماً. سقط لويس على الأرض وهو يصرخ ويتلوى من شدة الألم، وانتشرت الجراثيم فى الجرح، فالتهبت أعصاب العين وفقدت بصرها . امتدت العدوى إلى عينه الأخرى السليمة، وما هى إلا أيام قليلة حتى فقد طفلنا لويس بريل البصر تماماً، وهو مازال يحبو فى السنة الثالثة من عمره .

عندما بلغ طفلنا سن العاشرة ألحقه أبوه بالمعهد الوطنى للمكفوفين فى باريس، وبدأ الطفل يتعلم ويقبل على المعرفة، بل وتفوق فى الموسيقى والرياضة والعلوم والجغرافيا . كانت الطريقة المستخدمة لتعليم المكفوفين هى صنع أشكال بارزة من الحروف عن طريق ضغط الحروف المصنوعة من المعدن إلى الورق المصقول، ويعطى الورق للأطفال بعد ذلك مقلوباً فيتحسون ظهره بأناملهم محاولين التعرف على تلك الأشكال . غير أن هذه الطريقة كانت غير عملية، فأصغر رواية تتكون من سبع مجلدات ضخمة يزن الواحد منها أكثر من أربعة كيلو جرامات .

واصل بريل دراسته بنجاح، ولكن طريقة الكتابة لم تعجبه، وظل يفكر كيف يمكن ابتكار طريقة أسهل للكتابة للمكفوفين . وإعتبر هذا

الموضوع قضيته الأولى، التى كانت تشغله ليلاً ونهاراً . وأخذ يبتكر رموزاً جديدة للكلمات والعبارات .

أنهى بريل دراسته بالمعهد، وتفوقه عين مدرساً فيه، وبينما كان يجلس مع أصدقائه، سمع خبراً ملك عليه، يقول إن ضابطاً فى الجيش الفرنسى استطاع أن يبتكر طريقة جديدة للكتابة اعتمد فيها على النقاط البارزة...حتى يرسل أفراد الجيش يسأل لبعضهم البعض فى ظلام الليل . وفرح صاحبنا وشعر أن هذا هو ما كان يبحث عنه... وصرخ قائلاً ... وجدتها...

فى اليوم التالى بدأ يفتش عن الضابط الذى قرأ عنه حتى إهتدى إليه، وطلب منه معرفة طريقته الجديدة . قائلاً : "سيدى أرجوك أن تشرح لى طريقة الكتابة فى الظلام، والتى تستخدمها مع جنودك... وسيباركك الله وكل من فقد نعمة البصر فى العالم. وبدأ الضابط يشرح كيف أنه بالاستعانة بنوع خاص من الورق يمكن رسم بعض العلاقات المصطلح عليها بطريق الضغط، وأن هذه الطريقة مستعملة فى الجيش .. فنقطة بارزة واحدة - مثلاً - معناها تقدم ... ونقطتان بارزتان معناهما تراجع .. وسأل بريل الضابط عن عدد النقاط المستخدمة فأجاب الضابط إثنى عشرة نقطة...

لم يهدأ بريل بعد ذلك، بل ظل يجرب ويجرب إستخدام النقاط فى إيجاد طريقة أو أبجدية للمكفوفين فى العالم... وأراد أن يصل إلى هذه الطريقة بأقل عدد من النقاط حتى تسهل العملية، وبعد خمس سنوات إستطاع أن يحقق ما يريد، واعتمدت على ست نقاط فقط، عبرت عن حروب الهجاء والعلامات الرياضية والموسيقية، والأرقام الحسابية، وحروف العطف، كما وجدت نقاط أخرى بارزة وذلك لهوة الموسيقى من المكفوفين .

• مع بلوغ اويس بريل سن العشرين تسرب الداء إلى صدره فأصيب بمرض السل ، وقد نشر رسالة يشرح فيها طريقته الجديدة للكتابة للمكفوفين، لكنه إصطدم بمعارضة شديدة، ورأى العاملون فى مجال الطباعة للمكفوفين وقتذاك، والتى كانت تعتمد على الطريقة القديمة، يهدد رزقهم ومصدر كسبهم، ومن هنا ثاروا عليه، ووقفوا ضده .



من لوحة الفلاحة المصرية المكافحة وهي تسقى جاموستها فى ريف مصر .. إلى لوحة عش الغراب بالأضواء فى ديزنى لاند فى أمريكا... كان مشوار المصور الفوتوغرافى المصرى (نزيه جرجس رزق) أول كفيف يتقن هذا الفن الراقى.

بين الإيمان القوى والشديد بالله، وبين المعاناة البشرية من الظروف والصعوبات كان الإيمان بالله الحنون يتغلب على كل الصعاب ، وأجتاز نزيه رزق بارادة صلبه صحراء اليأس وكهوف الظلام ، فardاً زراعيه إلى الدنيا ليحتضن الطبيعة الخلابة ببساتينها وأشجارها، سفوحها وجبالها، بحورها وشلالاتها، شمسها وضئائها، حتى إستحق نزيه رزق لقب (المعجزة) ، وسجل بلوحاته المبدعة الجوانب والرؤى الجمالية فى مخلوقات الله العظيم.

لقب نزيه بأول مصور كفيف فى العالم... ولد الفنان فى حى شبرا بالقاهرة من أبوين عميقى الإيمان ، ربياه بالحب والحنان وبادلها الطاعة والإحترام، تميز بالنشاط والذكاء، لدرجة أنه تعلم قيادة سيارات

• لم ببأس صاحبنا والعجيب . إن لويس بريل إستخدام فى طريقته الجديدة للكتابة مخرازاً طويلاً يشبه إلى حد كبير المخراز الذى سبب له العاهة وأفقد بصره.

## البصيرة المضيئة

- ظلت الدولة لا تعترف بجهد ابنها "بريل" حتى كان يوم عزفت فيه إحدى تلميذاته على البيانو، وبعد أن انتهت من عزفها اهترت أركان المكان برنين التصفيق وصيحات الإعجاب ... عندئذ قامت التلميذة المكفوفة البصر واقتربت من الجمهور قائلة :
- أنا لا أستحق شيئاً من تصفيقكم وهتافكم... إنه لويس بريل، الذى فتح لنا باب التعرف على أنواع الثقافة والعلم... ومنحنا المعرفة الموسيقية حتى نعزف على الآلات الموسيقية.
- بدأت الصحافة الفرنسية بعد ذلك حملة ضخمة من أجل "بريل" والإعتراف بفضل الرجل الذى عاش حياته يفكر فى رفاقه المكفوفين، وكيف يحقق لهم نور الثقافة والمعرفة؟
- إعترفت الدولة الفرنسية رسمياً بنجاح طريقته الجديدة فى الكتابة، وأسرع إليه أصدقاؤه يهنئونه، فقال لهم والدموع تنساب من عينيه :
- "لم أبك فى حياتى سوى ثلاث مرات ... المرة الأولى عندما فقدت البصر .. والمرة الثانية حين عرفت سر الكتابة وتوصلت إلى الأبجدية التى أريدها....." والمرة الثالثة الآن فقد تأكدت أن حياتى لم تذهب هباء"
- بعد لويس بريل من العباقرة الذين رحلوا زهوراً، إذ داء السل اللعين تمكن من جسده، وقضى عليه سنة ١٨٥٢ ولم يكن قد تجاوز الثالثة والأربعين من عمره، ثم إنه من العباقرة الذين هزموا اليأس، إذ أن إختراعه لطريقة الكتابة البارزة للمكفوفين فتح لهم أفق المعرفة والثقافة والنور، وليس غريباً أن يكون "لويس بريل" ابن فرنسا بلاد النور والمعرفة والثقافة هو الذى أشرق بإختراعه بنور المعرفة لرفاقه.

المتحضر فى الخصائص الإجتماعية والنفسية والاقتصادية لحياة المكفوفين)

ولأنه إجتماعى بطبعه ، فقد إنغمس فى المجتمع وفى مجالات خدمة الشباب حتى، إنه كان يخدم روحياً المعوقين بدنياً، كما أنه مارس الأنشطة الشبابية الإجتماعية. وفى يوم حضر إجتماعاً للشباب فى مقر مجلة الشباب بالأهرام، فقام بتصوير الأستاذ محمد سليخة وذهب إليه



بعد أيام ليسلمه صورته فدهش جداً، ثم إشتراك مع المصور الكبير أ. محمد يوسف و أ. صلاح جلال رئيس التحرير فى ذلك الوقت ، ومعهم أشتراك جميع معارف نزيه فى إنجاح أول معرض فنى يقام له وكان ذلك فى عام ١٩٨٧ بالمركز الثقافى الفرنسى بمصر الجديدة.

النقل الضخمة وهو فى سن الثانية عشرة بدون معلم (وكان فى البداية مبصراً). وعندما بلغ السادسة عشرة كان فى المرحلة الثانوية متفوقاً فى دراسته حائزاً على محبة أساتذته ومعلميه....

وفى يوم من أيام الدراسة وفى فصل المدرسة أثار نفس طالب كان ينافسه على الأولوية فى الفصل، فأنتهز فرصته أن تألق نزيه فى إجاباته على كل أسئلة مفتش المادة حتى أفتعل معه خناقه على من يحتل كرسي معين فى الفصل وانهال على وجه نزيه باللكلمات القوية مركزاً على عينيه وجبهته، وبعد لحظات شعر نزيه بالألام المبرحة فى عينيه، وأنطلق الى البيت وهو لا يكاد يرى من شدة الألام.

بدأت الرحلة الطويلة بين عيادات أطباء العيون سواء للعلاج أو لإجراء جراحة، وذلك لمدة سنتين كاملتين، وهو يتقلب مع أسرته بين اليأس والرجاء، لكنه تمسك بالأمل حتى آخر فرصة. ذهب لإجراء جراحة فى لندن، بعدها صارحه الطبيب بإنعدام الأمل فى استعادة إبصاره. وفى نفس اللحظة دخل عليه صديق لزيارته، وأراد أن يحي الأمل فى نفسه حاملاً له هدية هى عبارة عن كاميرا للتصوير .... فأمسك بها نزيه وأحتضنها ثم انفجر باكياً ، وبعد أن أفاق قرر أن يتحدى حكم الأقدار، وأن يبدأ فى التصوير رغم فقد بصره...

وكانت البداية مع والده إذ طلب منه أن يكون أول موضوع لتصويره فقد كان يلزمه فى رحله العلاج بالخارج، وهنا بكى الأب وتأثر ثم استجاب لمطلب ابنه وأطاع ابنه فى أى مكان وعلى أى مسافة يريد نزيه من أبوه أن يقف ليلتقط له أولى صورته، وتحركت أصبع نزيه ليلمس زر التصوير بالكاميرا ... ولم تتوقف من بعدها، وأخذ يتدرب كى يشحذ حواسه مستعياً بها عن بصره.

عاد نزيه ليسير على طريقتين متوازيتين، الأولى إستئناف دراسة الثانوية بما يناسب حالته الجديدة، والثانى التدريب على التصوير فى كل الإتجاهات ولكل الأجسام ... وبرغم المشاكل والمعوقات ، وتلف عشرات بل مئات الأفلام إلا أنه أستمر ... وأستمر فكان يدرس حتى حصل على ليسانس الآداب قسم الإجتماع سنة ١٩٨٦ ، وتقدم فى الليسانس بدراسة ميدانية متميزة هى (مقارنة بين العالم الثالث، والعالم



القمصان والفانلات التي تصور فنانا نزيه.

وكتبت عنه الصحف وتسابقت وكالات الأنباء وليس فقط على مستوى الولايات المتحدة فحسب، بل وفي أوروبا واليابان وأمريكا الجنوبية، ليحظوا بلقاء وبتحقيق حول هذه الظاهرة وتلك المعجزة المصرية.

وأصبح الفنان المصري نزيه مادمه لكل قنوات التلفزيون الأمريكية، عرفوا قدراته وصلابته وإصراره، وعرفوا أنه كان يقود من قبل الإعاقة السيارة... فجاءوا بشاحنة يقودها ومعه مرافق ليسير بها على الطريق، وكان برنامجاً مثيراً شد إنتباه كل المشاهدين وذاد شيوع وذيوع نزيه الكفيف المصري وقدراته، صوروه وحققوا به

ومن بعده وفي نفس السنة، أقام له نيافة الأنبا موسى معرضاً بنفس اللوحات في الكاتدرائية المرقسية ضمن إحتفالات مهرجان الشباب بمناسبة الإحتفال بعيد جلوس قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث، وتكرم قداسته بإهدائه كاميرا جديدة بعدسات وإمكانيات أكبر. وفور أن تسلمها نزيه قام بالتدريب عليها وتصوير صوراً جديدة ذات أعماق وأبعاد أكبر، مما أهله لكي يمثل مصر في مهرجان (فنون خاصة جداً) بالولايات المتحدة الأمريكية، وهناك حصل من عمدة المدينة على (مفتاح المدينة).

جذب أنظار الأوساط الفنيين، فظن البعض أنه يبصر قليلاً، وبعد أن أخضعوه لفحوص طبية متخصصة أثبتوا أنه كيف البصر تماماً... .. فنبتوا هذه "المعجزة" و "الموهبة" الفريدة في نوعها... بدأ خطواته على طريق فني جديد أوصلته الى العالمية. وأخيراً أقام له الأهرام معرضاً جديداً قوبل بإنبهار المشاهدين وسط حفاوه وتكريم منقطعاً النظير !!

بدأ نزيه مشواره على الأرض الأمريكية ليجوب أكثر من ٣٠ ولاية، ويجد الإهتمام والتقدير من خلال معارضه وأعماله التي إقتناها كثره من مشاهير ونجوم أمريكا... وحظى في قاعاتها الكبرى ووسط جماهيرها بجوائز وبميداليات التقدير إحتراماً لنبوغه وموهبته الكامنة داخل إعاقته... وأهدوه ميدالية (كيندى) في أكبر قاعات مدنها. وفرضت الظاهرة المصرية نفسها على الشارع الأمريكى فارتدوا





وملأت لوحاته الجميلة المعبرة والملينة بالابهار والأحاسيس كل الدنيا.

## تمثال الحرية وإحساس نزيه بأنه قد تحرر من أسر الظلام.

فسبحان الله، والمجد والقدرة لله، الذى أودع فى الإنسان كل هذه القدرات الخلاقة والإبداعات العظيمة، والتي إن أستغلت إستغلالاً جيداً مع الإرادة والتحدى ومع الصبر والمثابرة لهزمت اليأس وصنعت المستحيل !!

كانوا يتحدثون بشكل مثير ودفعة واحدة، ويرتمون بالتعاقب على سريرى، ويؤكدون حديثهم بإشارات شديدة الحماسة وضحكات معدية. إبتدأ العلاج الطبيعى فى مستشفى رانكو حالاً، وضم محاولة لجعلى مستقلة على قدر الإمكان. فزودت بمساندة لساعدى ودريت على استعمال عضلات كتنفى وظهري لتستجيب ذراعى.

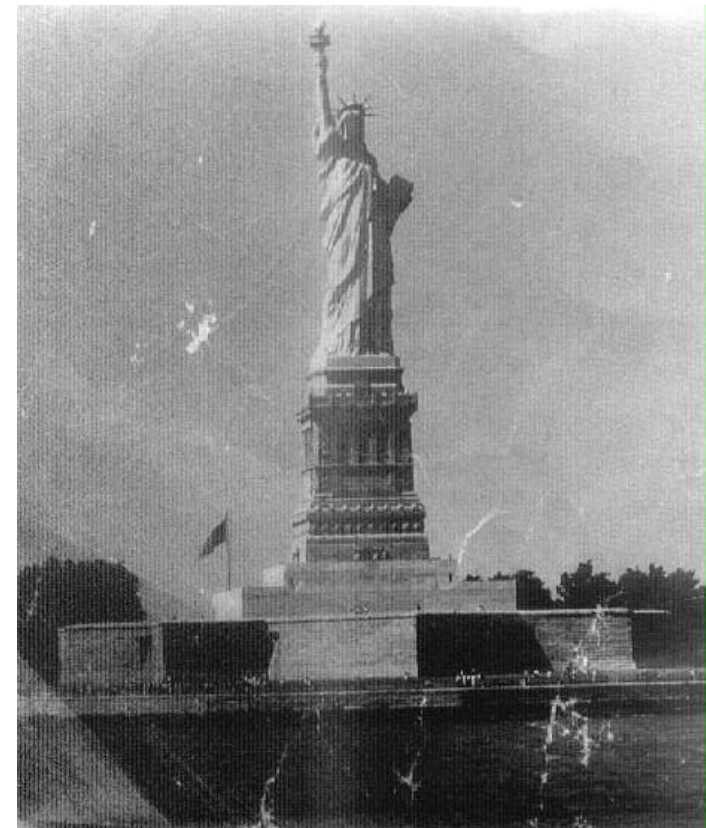
وعن طريق "تحويل" عضلات معينة، وجدت أن فى قدرتى رفع ذراعى وخفضها الى حد ما، غير أننى لم أستطع تحريك أصابعى، أو ثنى معصمى الأمر الذى حدد حركات ذراعى ومدى استعمالهما كما حدد السيطرة على تلك الحركات. فلم يكن فى وسعى، والحالة هذه، أن ألتقط أو أمسك أبسط الأشياء أو الأدوات. وتعلمت على أية حال، تناول الطعام. كانت الملاعة مثنية بزاوية مقدارها ٤٥ درجة ومثبتة فى مسند ذراعى. وعن طريق تحريك الذراع. تتدلى الملاعة فى طبق الطعام، فأعرف قليلاً منه ثم أرفع الملاعة الى فمى. كانت الحركة الآن صعبة تحتاج الى درجة من التركيز. وبواسطة رفع الملاعة وخفضها فى طبق الطعام، صار فى مقدورى تناول وجبة غذائى. كانت الحركة أشبه شئ بحركة مجرفة بخارية، وكان ما يتساقط من الطعام فى أغلب الأحيان أكثر بكثير مما يصل الى فمى، بيد أنه كان اختباراً مثيراً - أن أمد نفسى بالقوت، لأول مرة، منذ سنة ونصف.

وشرعت حركاتى تدريجياً تأخذ طابع السلاسة، فحاولت استخدام شوكة ثنيت بذات الشكل، ونجحت الى حد ما. إنه لأمر تافه أن ترفع

نجاحاً عظيماً أطلقوا عليه رائد كل المكفوفين المصورين فى العالم . وتهتم مملكة السينما العالمية (هوليوود) لإنتاج فيلم يحكى قصة حياة نزيه ومشواره الفنى، وتهتم كبرى شركات صناعة آلات التصوير فى العالم باليابان بأن تنتج كاميرا خاصة بالمكفوفين آخذين فى الإعتبار كل إحساس وحواس وتجربة الفنان المصرى العظيم.

## (صورة من السيارة وسرعة الإحساس بالجمال)

سألوه عن سر هذا النبوغ والإبداع الحسى الذى يطل من خلال لوحاته فأجاب : قمت بتدريب الأذنين على المسافات البعيدة والقريبة وعلى الحركة البطيئة والسريعة، أى أوجدت الأسلوب وإستخدمته لأنمى هذه الحاسة البديلة، وبنفس الأسلوب دربت حاسة اللمس عندى وحاسة الشم، وبدأت بتشغيل تمرينات لخدمة كل حاسة وتطويرها . كان نزيه يشم رائحة الشجر، الزهور ، الأرض، أمواج البحر!... إستغل ما بداخله والذى لا يستغله المبصرون فى محاولة لتعويض كف البصر. وتمضى الأيام بنزيه وبمشواره الفنى وغربته التى أكد من خلالها تفوقاً ونجاحاً ليس له مثيل . وكان سفيراً لبلاده فوق العادة ...



# معجزته الخارقة

ص ٢٣

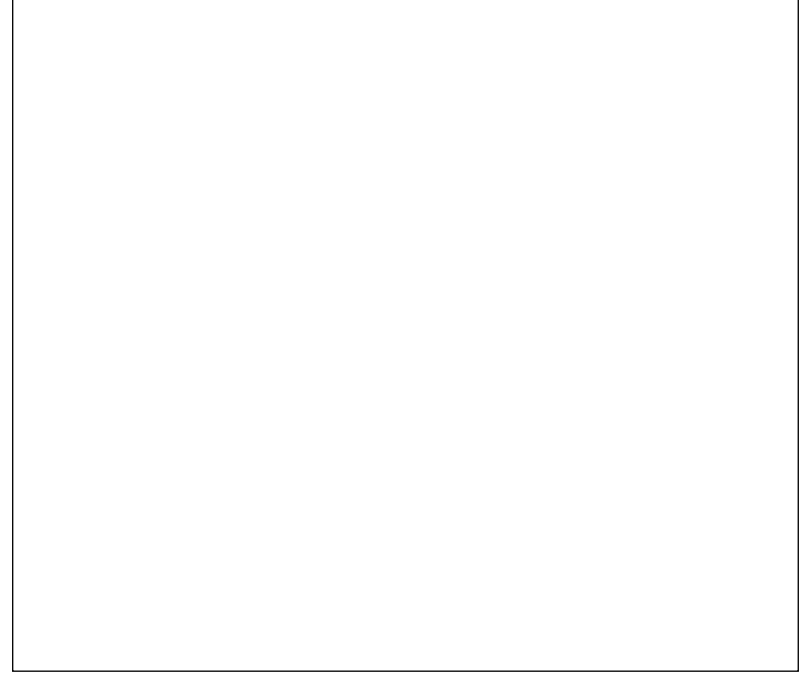
"إن العمى ليس بشئ وإن الصم ليس بشئ، فكنا في الواقع قد نكون صم عمى لا نرى إبداعات الله في هذا الكون العظيم" (هيلين كيلر)

ولدت هيلين كيلر عام ١٨٨٠ بالولايات المتحدة الأمريكية، وكانت طبيعية جداً. وفي شهرها السادس، بدأت تتكلم بأول كلمة عرفتتها وهي كلمة الماء، وفي شهرها التاسع عشرة تصاب الطفلة بالحمى القرمزية التي تركت أثراً سيئاً. فقدت هيلين على أثره السمع والبصر والنطق حتى فشل الطب في علاجها

ص ٢٤

وفي السابعة بدأت هيلين فترة جديدة من حياتها مع مربيتها (آن) فترة تميزت في بدايتها بالشغب والعنف واليأس، ولكنها سرعان ما تحولت إلى صداقة وحب ورفان بالجميل، فكانت (آن) هي العين التي تبصر بها هيلين والأذن التي تسمع بها واللسان الذي تتحدث به. رغم أن والد هيلين الكابتن كيلر كان ضابطاً بالجيش، إلا أنه لم يستطع تعليم ابنته العمياء الخرساء الصماء الآداب العامة فكانت كثيرة الشغب على المائدة ويصعب تعليمها السلوك المناسب، بل أنها كانت تقذف بالأكواب وبالعروسة في وجه مربيتها. طلبت المربية (آن) من والدي الطفلة أن يتركوها لتهدبها بنوع من الحزم، فرفضوا في البداية اشفاقاً عليها، ولكنها أصرت فوافق والوالدان، كانت المربية في البداية صارمه معها حتى أنها صفقتها عندما خرجت عن اللياقة والأدب، ثم أصبحت صديقتان حميمتان.

قطعة من البطاطا المهروسة الى فمك، غير أن الإحساس بالإنجاز كان مدهشاً بالقياس الى حالتى .



حلها ان كنت بارعاً ...

واجبنا نحو المعوقين :-

المفتاح ج أ س ش ع د ن ت و  
١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ -

" - - - - - صغار النفوس ، - - - - - ٢ ٩ ٥ ١ ٤  
٢ ٩ ٦ ٧ ٣ ٢

الضعفاء، ٨ ٢ ٧ ٩ ٢ - على الجميع" ٥ : ١٤





وبعد مرور شهر واحد من المحاولة كانت تنطق كلاماً كثيراً. وكانت أعظم كلمة تفوهت بها هيلين.

### لم أعد خرساء

" وهكذا انتصرت على الإعاقة، واستطاعت أن تتحدث للأخرين بدون أصابعها عام ١٨٩٦ التحقت هيلين بمدرسة للبنات التي أهلتها للإلتحاق بكلية (راد كليف) عام ١٩٠٠، واستطاعت أن تنافس زميلاتها طوال سنوات الدراسة الأربع، حتى حصلت عام ١٩٠٤ على شهادة التخرج بتفوق وكانت من أوائل الخريجات" وقبل أن تتخرج من الجامعة دخلت عالم التأليف بكتابها الأول (قصة حياتي) عام ١٩٠٢.

ص ٢٦

ولم تكتفى هيلين بالدراسة العادية في الجامعة، وإنما أكملت دراستها العليا في القانون، وحصلت على درجة الدكتوراه من جامعة (جلاسجو) باسكتلندا وكذلك درجة الدكتوراه الثانية في الأدب الإنساني من جامعة (تمبل).



وجدت المربية الفرصة في أن تبدأ بتعليم هيلين اللغة عن طريق اللمس، فأخذت يدها وشكلت في كفها حروف كلمة العروسة ثم أخذتها بعد ذلك لتلمس العروسة، حتى تدرك

ص ٢٥

إن الحروف التي رسمتها على كفها تعبر عن اسم العروسة. ثم جعلتها تلمس الماء وكتبت على يديها هذه الحروف م ... ا .. ء وهكذا وبعد مجهود شاق ومعاناه شديدة ومعاكسة هيلين وعنفها مع مربيته حدثت المعجزة، وتعلمت هيلين كيف تكتب الكلام عن طريق اللمس، وسرعان ما تعلمت القراءة أيضاً بطريقة لمس حروف (برايل) البارزة.

كان لقوة إرادة المعلمة (آن) تلك المربية المثابرة الصابرة حافظاً وقدوة لهيلين كي تحزو حزوها، وأن تساعد نفسها حتى تجد للحياة قيمة ومتعة، ولو فقد فيها الإنسان بعض حواسه الهامة.

التحقت هيلين بمدرسة الصم في بوسطن، وشرعت تتعلم كيف تستطيع أن تتحسس بيديها حركات الشفاه والفاك السفلى أثناء النطق،

وكان كتاب (قصة حياتي)، (العالم الذي أعيش فيه) و(أغنية الجدار الحجري) هي أهم كتبها العشرة، هذا خلاف مقالاتها وقصصها ورسائلها الإنسانية التي ملئت الدنيا كلها.  
عاشت هيلن رغم عاهاتها الثلاث حياة عادية، بل وأكثر من عادية، فكانت تهوى ركوب الخيل والمشي والسباحة والتجديف.

ص ٢٧

وكرست حياتها من أجل الدفاع عن المكفوفين في كل بقاع الأرض، وزارت ٢٥ دولة في كل القارات من أجل تحسين معيشتهم واستطاعت فعلاً أن تحفز الحكومات والهيئات على تحقيق هدفها، وفي الخامسة والسبعين من عمرها كانت قد قطعت أكثر من أربعين ألف ميل في رحلة من الهند الى باكستان وبورما والفلبين واليابان، وكانت تحمل في كل رحلاتها الأمل والخير والحب والشجاعة لكل المكفوفين وذوى العاهات المختلفة.



وزارت مصر عام ١٩٥٢ ضمن برامج رحلاتها، وأقامت مدة أسبوعين في فندق سميراميس في ضيافة الحكومة المصرية، قابلت خلالها عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، كما زارت الهيئات المختلفة التي تهتم بالمكفوفين والمعوقين. سألها الكاتب الصحفي كمال الملاخ عما تتمنى أن تراه لو قدر لها أن ترى مدة ثلاثة أيام فأجابت: "أتمنى أن أرى هؤلاء الناس الذين عطفوا على بحنانهم، والذين جعلوا لحياتي قيمة، واحسوا أن لي فيها وجوداً، وأتمنى أن أرى وجه طفل، وأن أرى النظرات الصادقة لعيون كلابي، والوان السجاد الذي اخطو عليه واللوحات المعلقة على الجدران ... ثم أتمنى جولة طويلة بين أشجار الغابات وأرى كائنات الطبيعة وألوانها من حولي، وكيف يولد نور النهار من غسق الليل؟ وكيف تولد عتمة السماء بعد الغروب من ظلام الليل؟ إنى أود أن أرى الشمس." عندما اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية، تركت هيلن ما كانت تكتبه عن مريبتها "أن سوليفان ماكاي" وقامت بسلسلة زيارات الى المستشفيات لتشد من أذر الجرحى والمصابين، وترفع من روحهم المعنوية، وكان لزيارتها أثر طيب في نفوسهم.

وكانت تلتقى مع مشاهدى التلفزيون الأمريكى لتقدم لهم مذكراتها في حلقات أسبوعية تبدوها بهذه العبارة :  
"أنا عمياء ولكننى أبصر ... أنا صماء ولكننى أسمع"  
من تلك المذكرات اخترت هذه الفقرات :

"يعجب الناس حين يروننى انتقل بين أرجاء العالم مع أننى عمياء وصماء ويظنون أن الحواس الباقية لى لا تستطيع أن تستمتع بجمال الطبيعة ومشاهد الدنيا ... ولكن الله كتب كثيراً من أعماله بأحرف بارزة، فالأصوات الشجيه تصل الى من طرق أخرى غير السمع، والمناظر الساحرة تصل الى من طرق أخرى غير البصر.... أن ما يراه الناس يشعرون به ، أما أنا فعلى العكس، ما أشعر به أراه ... أن الذين يظنون أننى منعزلة عن الطبيعة، لا يستطيعون يدركوا أى عالم جميل أعيش فيه بحاستى اللمس والشم... فأنا أنعم بالشمس وبالظل ، وبندى الصباح المتلألئ على الأعشاب ... وسكينة المساء ...

. وبقاات الزهور والنباتات الجميلة ... وأتذوق جمال الألوان وبهجتها  
.... وقد يهملك أن تعرف كيف أميز الألوان وكيف أفهمها ؟  
وفى عام ١٩٦٨ رحلت هيلن كيلر عن عالمنا ، بعد حياة حافلة طالت  
٨٨ سنة، إستطاعت فيها أن تهزم اليأس، وتحقق المعجزة، وتعيش  
معتمدة على أصابعها وكأنها ترى بها. رفعت من قيمة الإنسان فى كل  
مكان وزمان وكانت عبرة وقدوة ومثال .... وقبل رحيلها قالت تلك  
المعجزة العبقريّة عباراتها الشهيرة "أيها المبصرون أملأوا عيونكم  
بالدنيا كأنكم تستغرقون بعد ساعات فى ظلام دامس ... إن العمى ليس  
بشئ والصم ليس بشئ فكلنا فى الحقيقة عمى وصم عن جلائل الله  
الخالدة فى الكون العظيم....."



### دراسة كتابية

خطة الله لسير المؤمن ....

١كورنثوس ٩ : ٢٤ - ٢٧

ص ??

- ١ - فى ١كورنثوس ٩ : ٢٤ و ٢٥  
عبر الوحي بكل اختصار عن هذه الخطة مستخدماً ٣ أفعال.  
تأمل جيداً فى مضمون الرسم. ثم دون الفعل المناسب فى المكان  
المناسب على الرسم.
- ٢ - بحسب الأعداد ٢٤ الى ٢٧  
إن الذى يشجع المؤمن ويدفعه ليستمر فى السير فى الخط السليم رغم  
كل الصعوبات هو كونه :

يأمل بأن  
يخاف من أن

